السياحة العلاجية فى مصر الفرعونية*

دكتـور

علاء الدين عبد المحسن شاهين**

تمهيد :

أحتل الطب مكانة مرموقة فى مصر فى عصورها المختلفة . وكان الآله تحوت حامى الكتبة والأطباء معا ، والآلهة سخمت معبودة الأطباء . وأعتبر « أمحوتب » مكتشف فن تحضير الدواء ، والها شافيا أيضا . ولقد أعتمد الطب المصرى فى أكثره على الخبرة والتجربة العملية وأن كان فى أول أمره متصلاً بالدين ومتمشيا مع السحر . [١] وقد مرت على الطب الفرعونى مراحل متباينة من مراحل النمو السياسى للدولة فى قوتها وتدهورها ، وفى تداخلاتها خارجياً وإنعكاس ذلك على الطب المصرى وتجرده إلى حد كبير من الطابع اللاهوتى وخاصة فى عصر الدولة الحديثة (١٥٥٨– ١٠٨٥ ق . م) ثم عودته إلى الركود وسيطرة الشعوذة على مفهومه خلال الغزو الفارسى لمصر [٢] .

وترجع مصادرنا عن معرفة الطب المصرى إلى ما ورد من نصوص دينية ولغوية وإلى لفائف البردى الطبية المكتشفة ، وإلى ما دون على جدران المعابد والمقابر المصرية ، وبما كشف من مومياوات بشرية ذاتها بما تكشف عن إنسان ذلك العصر وما واجهه من متاعب جسيمة وما مارسه طبيب ذلك الزمان لتلافى آلام البشر.

(**) أستاذ الآثار المصرية المساعد – قسم الآثار المصرية – كلية الآثار – جامعة القاهرة .

(*) كان موضوع هذه المقالة فى الأصل بحث قصد به أن يلقى أمام المؤتمر الأول للطب البديل تحت مسمى « السياحة العلاجية على المستوى العربى الأفريقى – مصر المستقبل » فى الفترة من ١١ – ١٣ فبراير ١٩٩٣ بأشراف جمعية الشرق الأوسط للطب البديل فى القاهرة ولكن تأجل المؤتمر لظروف طارئة ، وأن ظلت فكرة النشر العلمى قائمة .

(١) شكرى « أنور » ، « حضارة مصر القديمة » فى حضارة مصر والشرق القديم تأليف إبراهيم رزقانة وآخرون ، القاهرة ، ص ١٧٩

(٢) غليونجى « بول » ، « الطب عند قدماء المصريين » ، تاريخ الحضارة المصرية « العصر الفرعونى » ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٥٢٣

المصادر المصرية عن السياحة العلاجية :

إنعكست السمعة الطيبة التى حازها أطباء مصر بوضوح فى مصادرهم النصية وضمن بعض مناظر مقابرهم التى خلفوها والتى إنتقلت بدورها إلى المصادر الكلاسيكية (١) . ولقد أوضحت المصادر المصرية سفر بعض الأطباء المصريين إلى بعض أرجاء العالم القديم لعيادة مرضاهم ، وفى المقابل قدوم بعض المرضى الأجانب إلى مصر طلبا للعلاج (٢) . ولقد مدح « هومر » المصريين قائلا فى الأوديسا الرابعة Odyssy IV, 231 - 32 أحد أقدم مصنفات الأغريق ، أن فى مصر « كل فرد هو طبيب » ، وأن مصر « بلد الأطباء أحكم أهل العالم » (٣) على العكس من موقف الأطباء اليونانيين فى مرحلة تالية حاولوا خلالها التقليل من مكانة الطب المصرى (٤) . ولقد ذاع إنتشار سمعة أطباء مصر ومعاهدهم العلمية هذه فى كل أنحاء العالم ، وأوردت النصوص المصرية ، وبالمثل المصادر الكلاسيكية إشارات متعددة إلى ذلك . وقد أشارت نصوص أحد خطابات تل العمارنة EA 49 , lines 22 - 26 أن ملك أوجاريت نقمادو الثانى Niqmaddu II قد أرسل خطابا إلى الفرعون المصرى طالبا منه إرسال أحد الأطباء الملكيين المصريين مؤكدا فى رسالته عدم وجود مثل هذا الطبيب فى مدينته (٥) كما ورد

---

(١) Pritchard, J, Ancient Near Eastern Texts, New Jersy : 1950 , pp. 29 ff; Sayce, A. "Texts from the Hittite Capital relating to Egypt, " Ancient Egypt and the East 3 (1922), pp. 67 - 68 ; Spalinger , A. " On the Bentresh Stela and related Problems" JSSEA 8 (1977) , pp. 11 - 18 .

(٢) Doll, S. K. " Medicine : Egypt's Golden Age : The Art of Living in the New Kingdom 1558 - 1085 B. C. Museum of Fine Arts, Boston : 1982 , p. 291.

(٣) Homer, The Odyssey , London : 1945 , p. 123 ؛ عبد العزيز صالح ، التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٥١

(٤) Steuer , R. and J. Saunders, Ancient Egyptian and Cnidian Medicine : The Relationship of their Aetiological concepts of Disease, Berkeley : 1959 ; Saunders, J. The Transitions from Ancient Egypt to Greek Medicine, Lawrence : 1963 , pp. 12 ff; Harris, J. " Medicine : in J. Harris ed. The Legacy of Egypt, 2nd Edition, Oxford : 1971 , pp. 112 - 37.

(٥) Stieglitz, R. " Ancient Records and Exodus Plagues, " Biblical Archaeology Review 3,6 (1987) , p. 48.

ضمن نصوص لوحة « بنترش » الموجودة حالياً فى متحف اللوفر (C284) أن حاكم بختان (Bakhtan) ربما على وجه الإحتمال خاتوسيليس [١] أو أكثر ترجيحا من العصر الفارسى أو اليونانى فى مصر [٢] قد أرسل إلى حاكم مصر – ربما فى الإحتمال الأول رمسيس الثانى [٣] أحد رجال « دار الحياة » والذين كان من بينهم أطباء وعلماء لمداواة إبنة الأميرة مما سكن بها من روع . ويشير النص إلى أنه :

« بينما كان جلالته في طيبة جاءه رسول من رئيس بختان قائلاً إني آت إليك أيها الملك بسبب بنترش الأخت الصغرى لزوج الملك « نفرو رع » . لقد نفذ المرض في عضالها . ليت جلالتك ترسل طبيبا « عالما » (الطبيب جحوتي م حتب) ليفحصها » .

وعند ئذ قال جلالته :

« أحضروا لى كتبة (أو رجال) دار الحياة وموظفى البلاط » .

وأرسل الملك الطبيب « أو الفيزيائى » لمعالجتها ، ولكنه فشل فى إنجاز مهمته [٤] . ولقد أرسل الملك حينئذ تمثال الآله خونسو المقدس الذى قام بشفائها مما لحق بها [٥] وأن الحاكم رغب فى إبقاء هذا التمثال لأطول مدة ممكنة فى أرضه بلغت ثلاث سنوات [٦] . ويذهب بول غليونجى إلى توضيح ذلك الأمر إلى ما يماثل حالياً ما قد يواجه الطبيب الباطنى عند فشله فى علاج مرض ما غير واضح العلة إلى زميله إخصائى الأمراض النفسية ، وأن هذا نفس الوضع هنا فى تلك الحالة التى أستعيض فيها بمن له قدرات

---

(١) Velikovsky, I. Ramses II and his Time, London : 1978, p. 128.

(٢) Wilson, J. " The Legend of a possessed princess, " ANET Princeton University Press : 1958 , pp. 29 - 31.

(٣) Harris, Op. cit., p. 112 ; Vilikovsky Op. cit., p. 128.

(٤) Jonckheere, F. Les Medecins de l' Egypte pharaonique. Essae de prospographie Bruxelles : 1958 , p. 134 ; Harris Op. cit., p. 112 ; Erman, A. " Die Bentresh Stele " ZÄS XXI (1883) , p. 54 .

(٥) غليونجى (بول) ، الطب عند قدماء المصريين ، بيروت ، ص ١٢٢

(٦) Velikovsky, Op. cit ., p. 129

روحانية حيث إعترف الطبيب صراحة أنه « لا يقدر على هذا المرض » وأنه « إستنجد بمن هو أقوى منه ، الآله خونسو » طلبا للمداواة [١] . ويروى هيرودوت أن « قورش » ملك فارس عندما مرض بالرمد طلب من فرعون مصر أمازيس « أحمس » راجيا أن يرسل إليه أمهر أطباء مصر لمداواته [٢] . وبالمثل كان للملك الفارسى « دارا » موقفا مماثلا فى تفضيله للأطباء المصريين وإنعكس ذلك فى طلبه إلى كبير الأطباء « واج حور رع سن » المعاصر لفترة حكم كل من أمازيس وأبسماتيك الثالث والذى أصطحبه دارا من قبل معه إلى فارس ، أن يقوم بترميم مدرسة الطب المصرية « بيت الحياة » فى سايس بعد أن خربت [٣] . ويروى هيرودوت – مع ما فى راويته من تعصب ضد مصر – أن دارا الفارسى قد أصيب بالتواء فى رصغه نتيجة سقوطه من على ظهر حصانه ، وكان محاطا بأطباء مصريين قد فشلوا فى علاجه مما جعله يستدعى طبيبا إغريقيا شفاه من مرضه مستخدما وسائل الطب الإغريقية ، وكنتيجة تالية لهذا نال الخير الوفير من الملك ، بينما حكم على الطبيب المصرى بالخازوق « وسيلة الإعدام » ولم ينقذه من هذا المصير المحتوم سوى وساطة هذا الطبيب الإغريقى لدى الملك الفارسى [٤] .

وفى المقابل فإن النصوص المصرية أوردت أيضا مثلا استعيض فيه بأسباب الطب الأجنبى « الخبرة الأجنبية » لعلاج الملك المصرى أمنحتب الثالث حين إصابته بمرض عضال فطلب من حليفه الميتانى « المدعو دوشراتا » أن يرسل إليه بتمثال الآلهه عشتار لتساعد بسحرها على شفائه [٥] وتمكنها من إنجاز ذلك لبقائه حيا بعد ذلك لمدة عامين على الأقل [٦] .

---

(١) غليونجى ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ Velikovsky Op. cit ., 128

(٢) غليونجى « بول » وزينب الدواخلى ، الحضارة الطبية فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٩ ؛ غليونجى ، الطب عند قدماء المصريين ، ص ١٠١ ؛ Jonckheere, F. La Mèdecinee egyptienne no. 3 Essai de prosopographie, Bruxelle : 1958, p. 99 .

(٣) صالح ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ؛ Harris Op. cit., p. 113

(٤) غليونجى ، المرجع السابق ، ص ١٠٦

(٥) أبو بكر « عبد المنعم » ، « العراق القديم تاريخه وحضارته » حضارة مصر والشرق القديم ، تأليف إبراهيم رزقانة وآخرون ، القاهرة ، ص ٣٢٢ ؛ Konudtzon, J. A. Die el-Amarna Taflen (Vorderasiatische Bibliothek) , Leipzig : 1908 , no . 23; Ranke, H. " Istar als Heilgöttin in Ägypten " In Studies presented to F. Ll. Griffith , London : 1932 , pp. 412 - 18 .

(٦) Hayes, W. " Egypt : Internal affairs form Tuthmosis I to the death of Amenophis III " CAH II,I Cambridge University press : 1973, p. 364.

إضافة إلى تلك المصادر النصية المتعددة عن سمعة أطباء مصر داخليا وخارجيا ، وقيامهم بمداواة مرضاهم خارج حدود أرض وادى النيل ، فإن مناظر مقبرة أحد الأفراد من عصر الدولة الحديثة تعكس أيضا قدوم أحد المرضى الآسيويين إلى مصر طلبا للعلاج كما يتضح من منظر مقبرة كبير الأطباء « نب أمون » رقم (١٧) فى جبانة دراع أبو النجا من عهد أمنحتب الثالث « أنظر شكل ١ » ، الذى يستقبل فيه نب أمون أميراً آسيويا مريضا ، جالسا على كرسى ومقدما إليه شراب « ربما دواء » [١] .

أماكن الجذب السياحى العلاجى ونظرة إلى مستقبل مصر :

يجدر بالقول الإشارة إلى أن مصر الحديثة تمتلك من المقومات الطبية والمراكز العلاجية بما لها من هياكل تنظيمية إدارية وعلمية من جهة ، وبما وهبها الله من أماكن بيئية طبيعية يمكنها بدون شك من الدخول وبقوة فى هذا المجال الجديد من علم السياحة : السياحة العلاجية وذلك فى مناطق شرق النيل فى حلوان والعين السخنة وفى الغردقة ومنطقة غرب النيل فى الفيوم والواحات ، ومنطقة جنوب الصعيد فى أسوان ، وأخيرا فى منطقة الساحل الشمالى ، وفى شبه جزيرة سيناء [٢] .

ولقد توافرت لسيناء على سبيل المثال ملامح جذب سياحى عديدة : السياحة الثقافية ، السياحة الترفيهية وبخاصة فى مناطق العريش وبحيرة البردويل وخليج السويس من صيد للطيور أو الأسماك ، والسياحة العلاجية وخاصة فى المنطقة الجنوبية فى موقع « حمامات فرعون » فى وادى الغرندل بما يتوافر لها من خواص كبريتية أثبتت بحوث وزارة الصحة تفوقها على مياه حلوان فى العلاج . [٣] كما لفت أنظار أعضاء البعثة المرافقين للحملة الفرنسية « مذكرات اليوم السابع » الخصائص العلاجية لمياه حمامات فرعون [٤] .

وبالمثل فإن منطقة أبار واحة سيوة وخاصة عين الجوبة « عين الشمس » بما لها من خواص وما يتردد عن تغير درجات حرارتها : رطبة باردة فى النهار ودافئة لدرجة الغليان

---

(١) غليونجى ، الحضارة الطبية فى مصر القديمة ، شكل ٢٠ :
Gardiner, A . " House of life, " JEA 24 (1938) , pp. 157 - 79 ; PM I , 59 ;
Wreszinski, W. Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte I , 115.

(٢) عبد السميع « صبرى » ، نظرية السياحة ، الطبعة الثانية ، القاهرة : ١٩٩٢ ، ص ٨٣ – ٨٤

(٣) السياحة فى سيناء ومستقبلها حتى عام ٢٠٠٠ ، مطبوعات المجالس القومية المتخصصة ، القاهرة : ١٩٧٩ ، ص ١٢ ؛ ص ٣٢ ؛ ص ٤١

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٢ ؛ ص ٣٢ ؛ ص ٤١

فى المساء وفقا لما ورد فى تقرير هيرودوت فى كتابه الرابع ، والتى ما زال يتردد صداها فى روايات أهل الواحة ، يمكن تسويقها كأحد الأماكن ذات الأهمية فى مجال العلاج السياحى [١] .

وبناء على ما سبق فإنه من الواضح إنه كان للطب الفرعونى مكانة مميزة عبر فترات الحضارة المصرية إنعكست فى قدوم بعض المرضى الأجانب للعلاج ، أو سفر بعض أطباء مصر إلى الخارج « بلاد خيتا وفارس » لمداواة مرضاهم هناك وبالمثل فى المصادر الكلاسيكية مما يعتبر دليلا على قدم مفهوم السياحة العلاجية . إضافة إلى ذلك فإن لمصر العديد من الموارد البيئية يمكن الإستفادة منها فى التسويق السياحى العلاجى وخاصة فى سيناء ، حلوان ومنطقة واحة سيوة .

---

(١) Herodotus, The Histories , Book IV # 182 ; Fakhry, A. The Oasis of Egypt , Vol. I : Siwa Oasis, The American University in Cairo Press: 1973, p. 25.

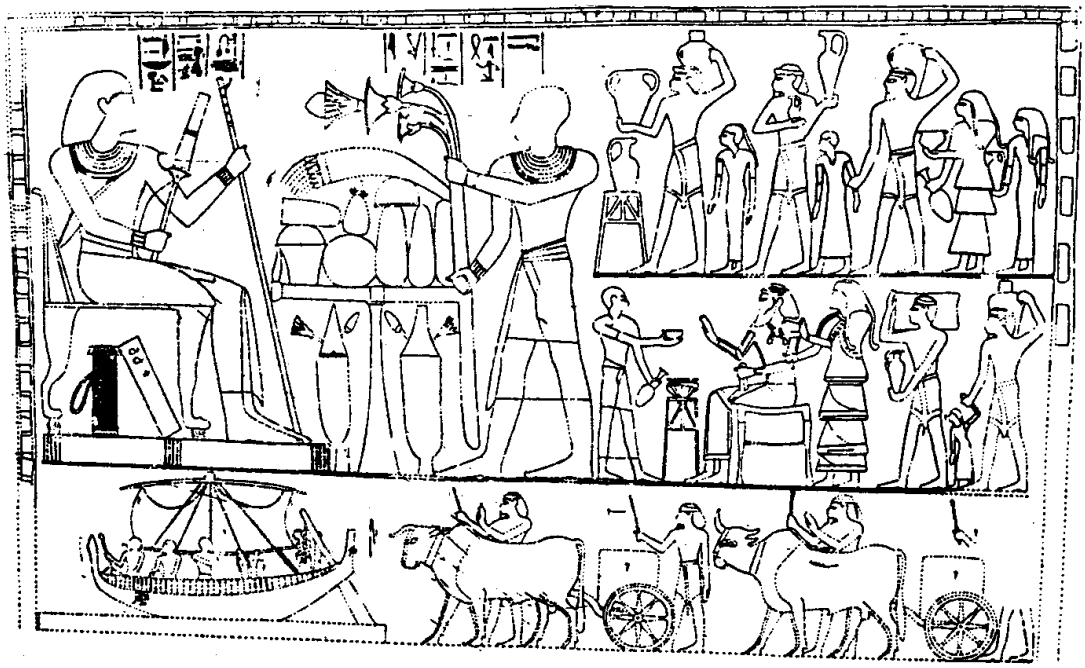

شكل (١)

وصول أمير أسيوى للعلاج فى مصر

مقبرة (نب أمون) رقم (١٧) – طيبة

(after : Vandier, J. Manuel d'archeologie egyptienne, Tome IV, p. 558 ; fig . 320)